اتّق المحارم تكن أعبد الناس (3)

إخوة الإيمان:

لا زلنا مع الوصايا الخمس، ونحن اليوم مع الخصلة الرابعة من خصال هذه الوصية الثمينة والتي هي: وأحبّ للنّاس ما تُحبّ لنفسك تكن مسلمًا: حرَص الإسلام بتعاليمه وشرائعه على تنظيم علاقة الناس بربهم تبارك وتعالى، حتى ينالوا السعادة في الدنيا والآخرة، وفي الوقت ذاته شرع لهم ما ينظم علاقتهم بعضهم ببعض؛ حتى تسود الألفة والمحبة في المجتمع المسلم، وتكون الأمة كما وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: المؤمن لِلْمؤْمن كالبُنْيان يَشُدُّ بَعْضُه بَعْضا، ثُمَّ شَبّك بين أَصابعه[رواه البخاري] فالأمة الإسلامية أمة واحدة، يجب أن يعتقد كل فرد منها أنه لبنة في سور قصر مع إخوانه المسلمين، فهذه ضرورة اجتماعية، والرسول مثل الأمة بالجسد الواحد فقال: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[متفق عليه]ولا يتحقق ذلك إلا إذا حرَص كل فرد من أفراده على مصلحة غيره حرصه على مصلحته الشخصية، لأن المودة خالص المحبة، وبذلك ينشأ المجتمع الإسلامي قويّ الروابط، متين الأساس، فالمعنى العام للحديث أن درجة الإيمان الكامل لا يصلها إلا من كان يحب لإخوانه المسلمين من الخير و الأمور المباحة نظير ما يحبه لنفسه، فبيّن أن من أهم عوامل رسوخ الإيمان في القلب، أن يحب الإنسان للآخرين حصول الخير الذي يحبه لنفسه، من حلول النعم وزوال النقم، وبذلك يكمل الإيمان في القلب، والنبي صلى الله عليه وسلم قد بين هذا المعنى بياناً شافياً فقال: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وبين النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً أن الإيمان متوقف على المحبة، فقال: لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم، ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الأسباب الجالبة للمحبة، فقال: أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم، فالمقصود أن من مقاصد الشريعة وجود المحبة بين المسلمين، أما التباغض والتدابر وتنافر القلوب فهذا خلاف مقصود الشارع، ولا تحصل به السعادة، وإذا تأملنا الحديث، لوجدنا أن تحقيق هذا الكمال الإيماني في النفس، يتطلب منها سموا في التعامل، ورفعة في الأخلاق مع الغير، انطلاقا من رغبتها في أن تُعامل بالمثل، وهذا يحتّم على صاحبها أن يصبر على أذى الناس، ويتغاضى عن هفواتهم، ويعفو عمن أساء إليه، وليس ذلك فحسب، بل إنه يشارك إخوانه في أفراحهم وأتراحهم، ويعودُ المريض منهم، ويواسي المحتاج، ويكفل اليتيم، ويعيل الأرملة، ولا يألو جهدا في تقديم صنائع المعروف للآخرين، ببشاشةِ وجهٍ، وسعةِ قلب، وسلامةِ صدر، وكما يحب للناس السعادة في دنياهم، فإنه يحب لهم أن يكونوا من السعداء يوم القيامة، لهذا فهو يسعى دائما إلى هداية البشرية، وإرشادِهم إلى طريق الهدى، واضعا نصب عينيه قول الله تعالى: ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ، قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، معناه: الإيمان التام الكامل، وإلا فأصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة، والمراد أن يحب لأخيه من الطاعات والأشياء المباحات، ويدل عليه ما جاء في رواية النسائي في هذا الحديث: حتى يحب لأخيه من الخير-من كمال الإسلام وسموّه- أن تُحبّ للنّاس حصولَ ما تُحبّه لنفسِك، وحُبّ الخير للنّاس خلقٌ إسلاميّ أصيلٌ ينبغي أن يتحلّى به كلّ مُسلمٍ، ولم ينصّ على أن يُبغض لأخيه ما يُبغض لنفسه؛ لأنّ حبّ الشيء مستلزِمٌ لبُغض نقيضه، وإذا كان الإنسان يعامِل إخوانه هذه المعاملةَ، ويحب لهم من الخير ما يحبه لنفسه ويكره لهم ما يكرهه لنفسه فإنه لا يمكن أن يغُشَّهم أو يخونهم، أو يكذب عليهم، أو يظلمهم ويعتديَ عليهم، كما أنه لا يحب أن يُفعَل به مثل ذلك، وختاما: فإن من ثمرات العمل بهذا الحديث العظيم أن ينشأ في الأمة مجتمع فاضل، ينعم أفراده فيه بأواصر المودة والمحبة، وترتبط لبناته حتى تغدو قوية متماسكة، كالجسد الواحد القوي، الذي لا تقهره الحوادث، ولا تغلبه النوائب، وينصره الله على عدوه، فتتحقق للأمة سعادتها، وهذا هو غاية ما نتمنى أن نراه على أرض الواقع، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

خطبة الجمعة ليوم 05 يناير 2024 م